الفصل التاسع والثلاثون

جلست بالرسيبشن بالفندق في الميعاد ونظري متمسمر على الباب..؟ وقلت للمعارف والأصدقاء والزملاء: مش عايز أي كلام أو عتاب! وفجأة دخلت سائحة أجنبية.. قلت: طبعا مش هي المأمورية!.. ثم أعقبها رجل طويل القامة ووسيم وعريض المنكبين ولو ريح إيده على أي حد سيفلقه اتنين.. قلت هو.. فتقدمت إليه متحسسًا الخطى وكلامي فوجئت بيسأل عليا واصفا.. فين اللي استولي على المحافظة؟.. فقلت: يا فندم دا تفويض!.. يا سعيد بك أنا عارف كل حاجة عنك.. دا أنتم الرئاسة يا سعادة البك.. أهلا بك عادل بك فريد (كان برتبة العقيد منتدبا من الشرطة للرئاسة) وأردف قائلا: أنا قابلت السيد محافظ أسوان وكل ما أقول لسيادته عايز أي تجهيزات أو إمدادات إضافية يقول عند أخوك سعيد سويلم.. فيا تقومه.. يا تؤمه!.. وتصادقنا منذ ذلك اليوم بكل تقدير وود حتى الآن. مما سمح لي بالتعاون (مع سيادته ولي الشرف) والقرب في جميع المأموريات والتحركات وبحمد الله تم تدبير جميع طلبات سيادته للجنود والأفراد والضباط من جميع الاحتياجات سواء خيام أو سيارات أو أي خدمات وشكرني كثيرًا.. مش زي جماعة.. مطنشين ومسترخين.. ويقروا سحت وبيتهربوا ومبسوطين.. حاتروحوا فين من رب العالمين.. ويا رب اللي يأكل حقي يتسخط خروف ويذبحوه على العيد!

بدأت المأموريات والتحركات واستعراض الخدمات للجنود والسادة المساعدين والإخوة الضباط ومررت عليهم في الخدمة

بالوجبات الخفيفة والمياه المثلجة والعصائر والمشروبات حتى النسكافيه.. بالسياره الدبل كابين والجنود في ملابس السفرجية الزاهية الحلوين.. وكانت لأول مرة في تاريخ المأموريات أن تقدم بها هذه الخدمات وبهذا الشكل الرئع والمبهر والفريد.. حتى أن السيد مدير أمن أسوان محمد بك رافت السيد قال لي: تيجي تشتغل معايا.. يا سعادة البيه أنا كل أملي في الحياة الآن شقة تمليك بجد.. متهربش مني عند الجد.. أتاوى فيها ومحدش يشاركني فيها ولا ياخدها مني ولا تبعد عني!.. قال لي سيادته: بسيطة وموجودة.. فين وإيه؟.. الاستراحة!.. أصيب جسمي كله بكهرباء زيادة.. وفوقوني بقهوه سادة.. دانا لسه مافوقتش من موضوع استراحة محافظة قنا اللي اتاخدت مني بعد شهرين لتغيير المحافظ! وأنا في طريقي في فترة الراحة من المأموريات لتجهيز السيارة بالأكل والمشروبات.. فوجئت بالمساعدين لواء على بك حسين ويوسف بك الصبان أمام فندق فيلة على الكورنيش يستوقفاني وأنا والسائق كل أوراقنا سليمة وماشيين صح وميري.. نعم عايزين إيه مننا.. سيبونا في حالنا.. . أؤمر يا فندم؟.. يا سعيد.. روح بسرعه واعمل المأمورية ديه.. فين عند الخزان.. حاضر يا فندم ! ومفيش ٣ ك و٣٠٠ جرام من السير بالتمام والاحترام.. أصيب السائق بمغص شديد وأدخلته المستشفى وأعطوه محاليل وقالوا تعالى خده بعد ساعة.. ذهبت للماموريه لوحدي وأنا قاعد في كابينه القيادة وأحرك أصبعين السبابتين ليدي الاتنين كمساحاتين نادبًا حظي عشان معرفش أسوق ورايح للمجهول للخزان وما أدراك بخزان أسوان ومطلعه ودي حاجة

جديدة عليا.. توكلت على الله وقرأت الشهاده وأنا في منتصف المطلع فوجئت بتوقف جميع السيارات فجأة لتحرك مفاجئ لحرم السيد الرئيس.. وأدوس فرامل وبنزين.. وأخيرا.. أحد قائدي السيارات المجاورين.. قال لي: شد فرامل اليد.. بصيت ليدي فلم أجد شيئا.. نزل وشد حديدة وقالي استهدى بالله.. نزلت وفي حركة عنترية وقلت بصوت جهوري: حفاظًا على أمنكم محدش يقف ورايا..! مشيت السكة بعد مرور المأمورية.. وربنا يخليه ويبارك فيه جاري طلع لي العربيه لقمة مطلع الخزان وأنهيت المأمورية ليوسف بك الصبان ورحت للمستشفى وبدلت مكاني مع السائق العيان..

بمناسبة العيد وكل عام وأنتم طيبين والفرحة والسرور والبهجة اسمحوا لي.. إيه الدلع ده.. غصبن عنكم حاتقروا وتسمعوا واقعه فكاهية أنت وهي ونسميها الجزء العارض (٤٠) عن وسيم الصورة أخي اللواء حافظ فكري عندما كنّا بالكلية.. مقدمة لا بد منها لكي أغيظ العدولين.. حبيبي العمراللواء عادل عامر واللواء المستشار عادل صالح. كنّا متقاربين تماما في الفكر والذكاء.. مفيش طبعا.. والشقاوة والتهريج.. دايما.. وكنت دايما متقدم عليهم في الترتيب العام وكنا في سنة رابعة عام (١٩٧٤) وكانوا يطلقوا عليا اسم الربع جنيه نسبه لترتيبي حينئذ الـ ٢٥ وعامر ٢٧ وصالح ٣٢.. وفي آخر عام سبقوني لظرف مرضي قبل الامتحان وتشخيص خاطئ.. مما مكنهم من سبقي بالترتيب وتنفسوا لأول مرة الصعداء وهات يا ضرب فيا.. وأنا أعيط.. وأدعو يجيلكم ويحط عليكم.. بهزر يا رب دا مليش غيرهم إخوات.. باكل أكلهم

وآخد اللي في جيبهم كله وكلهم!.. المهم.. نرجع لصاحب الصورة وحكايته.. كان شديد الذكاء والشقاوة والفكاهة والريادة والقيادة والخطابة والتأثير، وأسندت له إدارة الكلية إذاعة وإلقاء النشرة الإخبارية اليومية (الأوامر والتعليمات والجزاءات وأحوال المرضى والشاءات) وكان ف ذلك اليوم المشهود واحنا (جميع الطلاب) مصطفين لسماع الأوامر بالميكروفون من المذيع والإعلامي المتمكن والقدير والخطير حافظ فكري.. كان ضابط عظيم الكلية الرائد نشأت الهلالي وما أدراك بنشأت الهلالي من يقظة وانضباط وحسم وحزم وشدة وسرعة توقيع الجزاءات بالآلي والرشاشات ومفيش معاه تراخي أو هزار.. لاحظنا وهو يمر بيننا تفتيشا علينا وتصيدا لفريسة أو لقيطة.. أو أي انبعاج أو اعوجاج فينا أو بينا.. وكلنا بنقول في سرنا.. يلا بينا من هذا الجحيم! كان نشأت بك يلف ويدور بطريقة لولبية وساعات حلزونية.. وأخرى دائرية.. وما تعرفش حاتجيلك المصيبة منين أو البلية.. وياما حطت على زميلنا الفكاهي أيمن أبو شعيشع جزاءات الهلالي النارية.. ودي لها قصص ومؤلفات بمجلدات كثيرة بأبجدية.. فيما بعد تسردها عن أخونا الرائع الحبوب البلية.. فجأة لقينا نشأت بك خرج عن السياق وخرج من دائرة أرض الطابور ومضمار السباق واختفى عن دائرة نظرنا وعن رادار إحساسنا وشمنا.. أيوة كان لسيادته ريحة مميزة.. مثل المدفع والبارود.. .. واحنا يا عيني علينا في الجبلاية كالقرود.. والنيران (الجزاءات) من كل حد.. معرفهاش.. وصوب.. ما أفهمهاش!.. .المهم اختفى تماما عن الساحة وبدأت تتسع الحرية والمساحة لزميلنا حافظ فكري

في السرد والإلقاء والإسهاب والإطناب في ميكرفون الإذاعة وكان يشدو ويشنف آذاننا بما لذ وطاب من أخبار لم يكن لها أصل أو حتى إعراب !.. إلى أن جاء إلى فقرة أحوال العيادة الْيَوْم.. وقال.. الطالب لطفي الأحمر.. خراج في الألية.. وفوجئنا بحافظ بك فكري بيطول تدريجيًّا ويرتفع عن منسوب الميكروفون.. ورافعة من النوع الأول الممتاز ممسكة من رقبته من الخلف.. وفجأة وقع على الأرض.. وحدث هرج ومرج باستديو إذاعة الكلية.. ماذا حدث لمذيعنا النجم الساطع والقدير..؟ أتاري بق نشأت بك الحويط لبد في الدرة خلف المذيع بخبث ودهاء ولَم يره أحد على الإطلاق نظرا لأن أحدًا من الخونة والأعداء وشى بحافظ بك عند نشأت بك أن الأول بيحرف في سرد محتويات الأخبار ويذكر حاجات غير مكتوبة وأسماء ضباط قد تخرجوا من الكلية من زمان ومنهم لطفي بك الأحمر.. قام حافظ بك بكل ثقة وثبات وألاطة.. منفضًا نفسه من تراب الأرضية والبلاطة.. متسائلاً هو فيه إيه يا فندم؟.. رد نشأت بك: هيه فين الألية.. يا بليه..؟ ألية إيه يا فندم.. ألية لطفي الأحمر الضابط الآن وتخرج بقاله سنين من الكلية.. وكمان فين الخراج.. . بلا إحراج؟.. المهم لم نجد في الأوامر أي حاجة من ديه.. ولا.. عرف حافظ بك التملص أو الهروب وانكشف المستور.. وأخرج نشأت بك الآلي ونشه (١٤) يومًا زنزانة وهاجت وهاصت الكلية.. ولقاءات ومحاضرات.. مع مذيعنا المحبوب من قيادات الكلية ومنهم السيد العميد محمد سعيد جنيد (قائد كتائب الطلبة).. لنصح حافظ بك لكبح جماح تهريجه وفكاهته لأنه لم يعد يمتلك إلا نقطة واحدة فقط في سجل

جزاءاته ولو فقدها لغادر الكلية نهائيًّا.. وبحمد الله. وتوفيقه وبدعائنا جميعًا لحافظ بك وحبنا له تخرج وأصبح من الضباط

الذين يشار اليهم بالبنان في كل مكان وزمان سواء في رئاسته لمرور الإسماعيلية أو رئاسته لهيئة نظافة الجيزة بعد انتهاء خدمته بالداخلية وما يحمله من قلب طيب وخلوق وخدوم.. والكتابة عنه لوحدها مرهقة ولا تكفي مجلدات.. ودي لوحدها قضية!.. للمرة الأخيرة.. بأحذر.. فين العيدية.. ونهاياتكم قربت.. منك.. لها.. له.. وإلا موعدنا غدا يوم.. النحر.. اشتروا راحتكم وحياتكم!.